أو أنها تكريم لخليفة الله، أن يسجد لآدم إكراماً له واحتراماً؟ فهكذا الأمر! فهل يأمر الله بهكذا تكريم لسواه، وفيه إهانة لساحته، وتشريك له معه في كرامته، وتسوية له في حرمته، ونيلٌ من محتده، فلم يكن الله ليسمح أو يأمر باحترام لآدم أو من فوقه، وفيه اختزام لساحة قدسه والاحترام درجات قمتها احترام العبادة فلا يحق إلّا للمعبود!

كما وآيات السجود تختصه - عبادة واحتراماً - بالله، وما ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[1] من والدي يوسف له، إلّا كما سجد الملائكة لآدم، إذ تعنيان معنى سواء، دون أن تفسر إحداهما الأخرى!.

فعدم جواز التسوية بين العالي والداني، فضلاً عن الله وخلقه، إنه من المستقلات العقلية، والسجود هو الغاية القمة من مراحل العبادة عبادة، ومن الحرمة احتراماً أو شكراً، اللهم إلّا إذا كان بقصد الاستهزاء فليس إذاً سجوداً، ومسرح البحث هنا هو سجود العبادة والاحترام دون اللعبة والاختزام، وهو - لا شك - منحصر في الله، منحسر عمن سوى الله مهما كان عظيماً، فلا عظيم بجنب الله!

أترى أن الله يأمر بما هو ضلال وظلم في نفسه، ولكي يرّغب إلى عبادة غيره أو احترامه كمثله سواءً.

والقرآن في عشرات الآيات يصرح باختصاص السجود بالله أيّا كان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[2] أترى أنه تعالى يمدح الملائكة في اختصاص السجود به ثم يأمرهم أن يسجدوا لآدم، فإنما الخالق هو الذي يحق أن يُسجد له دون سواه، فلا تعني

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ إلّا ما تعنيه ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[١] بفارق أن هذه مطلق السجود لله، وتلك هي سجود الشكر حيث ﴿لِآدَمَ﴾ و﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢]: فتوحيد العبادة لله لزامه توحيد السجدة لله، ولأنه الخالق دون سواه و﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[٣] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٤] [٥].

ثم ولم يسبق لأحد من أنبياء الله، ولا لنبي الأنبياء محمد ﷺ أن يسمح بالسجود أو الركوع له، ومناط السماح - لو جاز لآدم - هو فيه أقوى بما لا يحصى! ولقد كذَّب كونه تحية الأنبياء[٦] إذ «ما ينبغي لبشر أن يسجد لبشر»[٧] ولا «لأحد أن يسجد لأحد من دون الله يخضع له خضوعه لله ويعظم به السجود كتعظيمه لله»[٨] لا وحتى أن يُقبَّل رجل ولي من أولياء

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٤) سورة الجن، الآية: ١٨.
(٥) راجع لتفسير الآية إلى ج ٢٩: ١٩٣ - ١٩٤ تجد بحثاً مفصلاً عن السجود.
(٦) روى أحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٣٨١ - أن معاذاً لما قدم من اليمن سجد للنبي ﷺ فقال: يا معاذ! ما هذا؟ قال: إن اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورأيت النصارى تسجد لقسسها وبطارقتها، قلت ما هذا؟ قالوا: تحية الأنبياء فقال ﷺ: كذبوا على أنبيائهم.
(٧) الجصاص ١: ٣٥ عن عائشة وجابر بن عبد الله وأنس أن النبي ﷺ قال: ما ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، «ورواه ابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٣٨١ و٦: ٧٦ و٥: ٢٢٨ وروى ما في معناه أبو داود في سننه - نكاح: ٤٠.
(٨) تفسير البرهان ١: ٨١ عن تفسير الإمام الحسن العسكري قال قال رسول الله ﷺ... ولم يكن سجودهم لآدم إنما كان آدم قبلة لهم يسجدون نحوه لله عزوجل وكان بذلك معظماً مبجلاً ولا ينبغي لأحد... ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم وصي رسول الله ﷺ.

الله، فهل «بقي شيءٌ - بقي شيء»[١] لله، لو سوينا بينه وبين عباده احتراماً فضلاً عن عبادة! كما هَوى رجل على قدميه ﷺ فقال ﷺ: تنح! دع عنك أفاعيل الأعاجم[٢] وما إلى ذلك من مواقف مشرفة للرسول ﷺ والأئمة من آل الرسول، مستنكرين الركوع أو السجود - مهما كان احتراماً دون عبادة لغير الله، ولهم! وهم من نعرفهم بفضلهم على آدم ومن فوقه، فكيف يختص آدم بسجود الملائكة، ثم يُحرم مَن هم أدنى منهم أن يسجدوا لمن فوقه، إن هي إلّا قبلة فارغة هراء، والله منها براء!

أم كان آدم قبلة لهم في سجودهم لله؟ والقبلة لا يُسجد له، وإنما يُسجد إليه، وهنا السجود لآدم لا إلى آدم! ثم لا تفضيل له عليهم بالسجود إليه كقبلة، كما الرسول يسجد إلى القبلة التي هي دونه! والسجدة لآدم تحمل تكريماً له على الملائكة وفيهم إبليس القائل: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ...﴾[٣]! وإن كانت سجدة الشكر لنعمة لا تجعلها أفضل من الشاكر، اللهم إلّا إذا كان نعمة روحية من تعليم أو نبوة!

أم كان السجود لله شكراً على ما أنعم عليهم بمعلم كآدم، كما تقول: سجدت لولدي - لرزقي - لصحتي.. والمسجود هو الله لما أعطاك وحباك! فاللّام إذاً للغاية ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ لله ﴿لِءَادَمَ﴾ حيث خلقه الله لكم معلماً داعياً إليه

(١) في الوافي باب المعانقة والتقبيل عن أبي عبد الله عليه السلام قيل له: أعطني يدك أقبّلها فأعطاها ثم وجهك فأعطاه، ثم قال: ورجلك قال: هل بقي شيء؟ ثم قال: لا يقبّل وجه أحد ولا يده إلّا رسول الله أو من أريد به رسول الله - وفي حديث آخر: إلّا رسول الله أو وصي رسول الله.

(٢) في حديث لا أذكر مسنده أن أعجمياً أراد أن يهوي على قدمي رسول الله ﷺ فقال ﷺ: تنحّ! دع عنك أفاعيل الأعاجم.
وفي تفسير الرازي ٢: ٢١٢ عن الثوري عن سماك بن هاني قال: دخل الجاثليق على علي بن أبي طالب فأراد أن يسجد له فقال علي عليه السلام: اسجد لله ولا تسجد لي.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

وسراجاً منيراً كما ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[١]: خروا سجداً لله ليوسف حيث وجدوه حيّاً عزيزاً، فليس يعني السجود هنا وهناك لآدم أو يوسف أنه المسجود له، وإنما مسجود لأجله المعبر عنه بـ«له» ﴿لِءَادَمَ﴾!

فاللام الأولى للمسجود له والثانية للمسجود لأجله[٢] تحذف الأولى حين تحذف اعتماداً على الضرورة العقلية والقرآنية وسائر كتابات السماء أن لا سجود إلّا لله، عبودية أو احتراماً أم شكراً.

وقد يجوز أنهم سجدوا إليه كقبلة، سجوداً لله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: لله شكراً لما خلق آدم، متوجهين إليه كقبلة، حيث كونه وسيطاً بينهم وبين الله في سجودهم وسائر عباداتهم لله.

فـ«إنما كان آدم قبلة لهم يسجدون نحوه لله وكان بذلك معظماً مبجّلاً»[٣] أم أنهم سجدوا عليه كتربة يسجد عليها؟ ولكنما الملائكة ليست لتسجد على شيء فإنها ساكنة السماء لا ساكنة الأرض! وليس هنا السجدة «على» بل السجدة «لـ»!

ولكن «لـ» في السجود، دون «إلى» أو «على» ينحّي هذا السجود عن هاتين اللّهم إلّا معنيّاً ضمنياً ما صلح معنوياً كالقبلة، دون كونه كتربة يسجد عليه!

أو أن لامه للانتفاع «اسجدوا لينتفع آدم»: اخضعوا لأمر الله في تحقيق مصالح آدم لحاجياته الحيوية نفسية ومادية، وكما نراهم هكذا يعملون، من ملائكة الوحي والمدبرات أمراً أم ماذا.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) لسان العرب ٣: ٢٠٤ - ولأهل العربية وجه آخر وهو أن يجعل اللام في قوله: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] - وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] - لام من أجل: فالمعنى: وخروا من أجله سجداً لله شكراً.

(٣) تفسير البرهان ١: ٨١ عن تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

أو أنه يحمل مثلث المعنى: أن آدم كان قبلة والمسجود هو الله سجدة شُكر لله، وخضوع في صالح آدم لأمر الله، والآية تتحملها كلها، ما دام المسجود هو الله دون آدم، ولأن «سجد» لازم فليتعد بشيءٍ، فلام «لله» هي للتعدية.. اسجدوا لله» واللام في غير الله لغيرها كما في سجدة الشكر «لآدم وليوسف» إذ تعنيان: اسجدوا لله لآدم أو ليوسف!

ومهما يكن من شيء ففي هذا السجود لآدم مكرمةٌ له وشكرٌ لله أن يُسجد له لله لما أنعم، لمّا أنعم، فله الشكر بما أنعم وألهم[١].

وهل يا ترى أن الملائكة كيف سجدوا؟ لا شك أنهم تطامنوا في غاية التذلل والخنوع، وأما كيف فلا ندري، فلكل كائن هيئة خاصة لسجوده كما يناسبه، أم دون هيئة وإنما حقيقة السجود كما ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم﴾[٢] ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٣] ولا شك ليس يسجد كل الكائنات كما نسجد بوضع الجباه على الأرض، ولا سيما في السجود التكويني كرهاً أن ذواتها خاضعة لإرادة الله، مسيّرة في قبضة الله دونما تمنُّع، لا فحسب، فحتى الإنسان حيث يؤمر بغاية الخضوع أحياناً دون هيئته الخاصة كما الخضوع للقرآن - التام-: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾[٤] حيث تفرض السجود عند قراءة القرآن

(١) ومن أغرب ما نراه في هذا المسرح اختلاف الشيخين الأعظمين المفيد والطوسي في ماهية الشيطان؟ اختلاف التناقض - قال في البيان: كان إبليس من الملائكة بدلالة استثنائه من جملتهم وهو المروي عن أبي عبد الله والظاهر في تفسيرنا وأخبارنا.
وقال الشيخ المفيد إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة وقد جاءت الأخبار بذلك متواترة عن أئمة الهدى وهو من مذهب الإمامية.
أقول: ليتهما استندا فيما ذهبا إليه إلى كتاب الله، دون أن يقعوا في فخ دعوى التناقض بين متواتر الأخبار!

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦.

(٤) سورة الانشقاق، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ككلٍّ، وهو لا شك غير سجدة التلاوة في آياتها الخاصة، حيث الموضوع هنا القرآن كلُّه، فلتكن غاية الخضوع استماعاً وإنصاتاً وتفهماً وتصديقاً وتطبيقاً، وهي هنا السجدة كما قد تكون السجدة حالة المشي، فلا يمكن أن تكون الهيئة الخاصة في الصلاة كما أمر بنو إسرائيل حين دخول القدس: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[1] فغاية الخضوع حالة المشي الدخول، هي التطامن إلى الأرض كما يستطاع، وهو أركع من الركوع، وأرفع من السجود!.

فالسجود بكافة صنوفه في هيئات خاصة أو دونها، له معنى واحد: «غاية الخضوع»: طوعاً أو كرهاً بأرجائه وأجوائه، مهما اختلفت شاكلته وحالاته وغاياته، اللهم إلّا هتكاً وهزأً!

إذاً فلا تهمنا وتعنينا أن الملائكة كيف سجدوا ويسجدون، وبعدما سكت الله عنها، وإنما أنهم خضعوا للغاية وتذللوا للنهاية بما لا يحق إلّا لله، فسبحان الله عما يصفون!.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ . . . ﴿٣٤﴾﴾:

لا شك أن إبليس لم يكن من الملائكة كوناً في أصله وهيئته مهما كان منهم في كيانه وظاهر عبادته، فقد ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾[2] ولو كان من الملائكة لم يفسق عن أمر ربه: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[4] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

كما وأن الملائكة أيضاً تعترف أن الجن لا تسانخهم ولا تجانس: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ ﴿٤١﴾﴾[1].

ومن ثم فإبليس له ذرية: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[2] ولا ذرية إلّا بين ذكر وأنثى، والجن منهم نساء ومنهم رجال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[3] والملائكة لا ذكور فيهم ولا إناث: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ﴾[4] وإذ لا إناث فيهم فلا رجال أم - على أقل تقدير - ليست لهم ذرية فإنها بين رجال وإناث!.

فترى إذ لم يكن إبليس من قبيل الملائكة فكيف يشمله أمر السجود الخاص بالملائكة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؟ وكيف يعتبر عاصياً إذ لم يسجد، أفعصياناً دون ذنب؟!

إنه أمر ولعله مرتين، إحداهما: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ﴾[5] كما وهو معترف بالأمر: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[6] وإلّا كان يعتذر ويعترض بعدم الأمر!

فلقد شمله أمر الملائكة - كما وعلّه اختصه أمرٌ ثان - شمله حيث كان في العبادة بكيان الملائكة، وحتى في مكان الملائكة، فعدّ منهم من حيث الملائكية الروحانية، مهما اختلف عنهم في غيرها، عبد الله معهم كما كانوا يعبدون، ردحاً بعيداً من الزمن نفاقاً عارماً كافراً، حتى أظهر مكنونه إذا

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الجن، الآية: ٦.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦١.

أمر[١] فـ ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: كان إذ كان مع الملائكة من الكافرين المنافقين.

وهنا الاستثناء متصل، وعلى انفصالها فالوجه أنه لم يكن منهم لا كوناً ولا كياناً، ولكنه إذ أمر شخصياً بالسجود: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٢] اعتبر هنا في ردف المأمورين وليس منهم في غيره، وعلّ الفائدة هنا أتم، إذ الاستثناء المنقطع تفيد الاستغراق: لم يبق منهم أحدٌ إلّا سجد، فلم يعص منهم أحدٌ، اللّهم ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[٣]: وأما هم: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٤] مما يؤكد استغراق الأمر بالسجود.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: وهناك تفاصيل وتعاليل من قياس إبليس لمّا ترك السجود لآدم، أجمل عنها هنا وفصّلت في

(١) نور الثقلين (١: ٥٥) عن تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عما ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال، قال: نعم والكافرون دخلوا فيه لأن الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وإبليس، كان مع الملائكة في السماء يعبد الله وكانت الملائكة تظن أنه منهم ولم يكن منهم، فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد فعلمت الملائكة عند ذلك أن إبليس لم يكن منهم فقيل له عليه السلام فكيف وقع الأمر على إبليس وإنما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فقال: كان إبليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة وذلك أن الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس منهم حاكماً في الأرض فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم.

أقول: لعلّ الجمع بين معرفتهم لإبليس وعدمها أن الذين قاتلوه هم عرفوه دون سواهم.

ثم أقول: وفي معناه إن إبليس لم يكن منهم، رواه في أصول الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام . .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٠.

سائر آياتها الست الأخرى، ندرسها في طياتها، وهي في صيغة واحدة: ردٌ على الله ورَدّة عن شرعة الله بقياس فيه إبلاس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[١] ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾[٢] ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[٣] ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾[٤].

وهنا نجمل كما أجمل الله وما أجمله شمولاً ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: أبى أن يسجد كما أمر الله، واستكبر على آدم وعلى الله، على آدم حيث عدّه أدنى منه لأن جنسه - كما زعم - أعلى من جنسه، وعلى الله حيث رد حكمه بقياس، تجهيلاً لله وترفُّعاً عليه كأنه أعلم منه في مناطات الأحكام، فليس إذاً كفره لأنه ما سجد حيث التاركون من المسلمين للسجود كثيرٌ وما هم بكافرين، إذ يأبون دون استكبار، وإنما لاستكباره. لرده حكم الله ومحادّته لله، وما أكفره من يحاجّ الله، فإنه ليس فقط تكذيباً لله، بل وترفعاً وطغياناً على الله، فهو أنحس من أيِّ شركٍ أو كفر أو إلحاد، ولذلك فهو زعيم الضالين أجمعين.

إن «إبليس» كلما يذكر فهو زعيم الشياطين، طالما الشيطان يعمه وسائر الشياطين، وإن أخطر مواقفه وأكفرها هو رده على رب العالمين، فاختص في موارده بـ«إبليس»: إحدى عشر موضعاً من الذكر الحكيم، طالما الشيطان يذكر في (٦٨) والشياطين في «١٧» زائداً على جنوده الشياطين باسميه في (٦٢) موضعاً: ثنوي الاسم وثالوثي الموقف: إبليس - شيطان - شياطين: بشخصه وحزبه.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦١.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

والإبلاس حزن معترض من شدة البأس، وقطع، وانقطاع حجة، وحيرة، وقنوط، وقطع رجاء، وانكسار، وحزن، وإيقاع في البلس: الالتباس.

وإبليس يجمع في نفسه جميع هذه المعاني لاسمه: حزناً على ما كُرِّم عليه آدم وطُرد، وقطعاً للجنة والناس من الوصول إلى مأمولهم، مع انقطاع حجته أمام الله وأمام الخلق، وحيرة فيما تورّط فيه ووقع من هوّات، وقطع رجاء لنفسه عن رحمة الله ولغيره أيضاً عن مغفرة الله، وانكسار في كافة الحقول الدعائية أمام عباد الله، وحزن مما يجاهدون في سبيل الله، وإبلاس لهم فيما يعتنقون من شريعة الله، وكل ذلك تجمعها ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

إن إبليس يُبلس كما المجرمون مبلسون يوم الدنيا ويوم الدين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2] ولكنما إبليس زعيمهم هو الأصل في الإبلاس كما إفعيل مبالغة في مادته، والإبلاس هنا هو الإياس، فإنه آيس عن رحمة الله ويؤيس عن رحمة الله ليجلب أكثر عدد ممكن إلى حزبه، ألا فتيقظوا يا أولي الأبصار!

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾:

قصة الجنة هذه تُذكر هنا وفي أخرى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الروم، الآية: ١٢.